

## اللقاء الثالث: النعمة الفعلية

كلمة الله: ثمرة النعمة الفعلية (لوقا ٩: ١ - ١٠)

"دخل يسوع اريحا واجتاز فيها. واذا برجلٍ اسمه زكا، كان رئيسًا العاشرين، وكان غنيًا. فطلب أن يرى يسوع من هو، ولم يستطيع من الجمع، لأنه كان قصير القامة. فتقدم مسرعًا وصعج الى جُمُيزة لينظره، لأنه كان مزعمًا أن يجتاز بها. فلما انتهى يسوع الى الموضع، رفع طرفه فرآه، فقال له: "يازكا انزل، فاليوم ينبغي لي أن أمكث في بيتك". فاسرع ونزل وقبله فرحًا. فلما رأى الجميع ذلك تدمروا قائلين: أنه حل عند رجل خاطئ. فوقف زكا وقال للرب: هاءنذا يارب أعطي المساكين نصف أموالِي، وان كُنت قد غبنتُ أحدًا، أرد أربعة أضعاف". فقال له يسوع: اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت، لأنه هو أيضًا ابن ابراهيم. لأن ابن البشر انما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك".

## التعليم

### ١. يجب أن نعيش كأبناء الله

النعمة المبررة جعلتنا أبناء الله. فيجب علينا اذًا أن نعيش "كأبناء" وان نعامل الله كأنه "أبونا". أن هذه العظمة وهذا الشرف يفرضان علينا واجبات وأعمالاً. لا بد من القيام بها. ولكي نحصل على النعمة المبررة ونحافظ عليها، يعطينا الله "النعمة الفعلية". التي تقوم بمعونات خاصة، تجعلنا قادرين على أن نحيا بنعمة الله، على مستوى يناسب منزلتنا السامية.

فالنعمة الفعلية أو الحالية هي معونة الالهة وقتية. يعطينا اياها الله في أوقات وظروف خاصة. الغاية منها أن نعمل الخير و نبتعد عن الشر. انظروا زكا. لقد صعّد الى الشجرة ليرى يسوع ولكنه حالمًا سمع المعلم الالهي يدعوه، أسرع فنزل عن الشجرة، واستقبلته في بيته، فدّاء يسوع وزيارته لبيته كان نعمة فعلية أي وقتية، ساعدته على التوبة وتغيير سيرته الماضية. ولذا قال للسيد المسيح، أنه مستعد أن يرد لقريبه، أربعة اضعاف ما أخذه منه بالطرق المحرمة. فزكا كات يحتاج الى نعمة فعلية (حالية)، لكي يستطيع أن يبتدئ حياة جديدة في نعمة الله. وبما أنه بموجبه، فقد بلغ الايمان والخلاص.

### ٢. توضيح معنى النعمة الفعلية

قلنا في الدرس السابق أن النعمة المبررة مَلَكة ثابتة، تحلّ في نفوسنا، فترفعها الى مستوى الطبيعة الالهية. بحيث نصبح أبناء الله.

فلكي نحيا حياةً تليق بأبناء الله، ولكي نستطيع القيام بأعمال صالحة فائقة الطبيعة (كاراز فعل ايمان بالله أو بوجود يسوع في القربان، أو فعل محبة أو فعل ندامة على خطايانا)، نحتاج الى معونة الالهة خاصة تدفعنا وتحركنا.

هذه المعونة الخاصة تسمى النعمة الفعلية أو النعمة الحالية. وانما تدعى فعلية لأنها تساعد الانسان على اتيان أفعال صالحة فائقة الطبيعة، لا تقدر الطبيعة البشرية الضعيفة وحدها على القيام بها، وتدعى أيضاً الحالية، لأنها تعطي في حالات خاصة اي في حين الحاجة اليها، واذا انقطع الاحتياج انقطعت النعمة أيضاً.

فالنعمة الفعلية لا تبقى معنا دائماً، بل هي معونة وقتية عابرة، تناسب الظروف المختلفة اليت توجد فيها، يمدنا الله بها لكي ننجو من الخطيئة أو الضلال، أو لكي نعرف ما يطلبه الله منا، أو لكي نمارس أعمالاً أكمل، تكسب لنا رضى الله وبركاته.

أنها معونة مجانية، لأنه لا أحد يستحقها بأعماله، بل هو الله الذي يعطينا إياها لفرط صلاحه وحبه لنا، ويزعها على الجميع من دون استثناء أحد.

وهي ضرورية لجميع الناس على الاطلاق، حتى للحاصلين على النعمة المبررة. ولهذا السبب قال لنا يسوع في انجيله: "أنكم بدوني لا تستطيعون أن تعلموا شيئاً" (يوحنا ١٥: ٥). فنحن والحالة هذه، نشبه طفلاً ضعيفاً لا يستطيع أن يعيش وحده كل شئ.

### ٣. النعمة الفعلية تنير العقل

النعمة الفعلية ليست معونة خارجية فقط، بل باطنية أي داخلية أيضاً، لأنها تفعل في العقل فتنبهه، وتفعل في الإرادة فتحركها وتقويها، وتدفعها الى ممارسة الأعمال الصالحة. ولذلك فالنعمة الفعلية نوعان: نعمة تنير العقل ونعمة تدفع الإرادة. لنفترض على سبيل المثال شاباً مكباً على حفظ درس الدين. فهذا الدرس يُحدث فيه تأثيراً، فيشعر بقوة جديدة في عقله بحيث أنه يرى جمال تلك الحقيقة الدينية التي يدرسها، ويرى فائدتها أيضاً. وعندئذ ينتعش ايمانه فيصلي بأكثر تخشع وثقة. فما الذي جعل الدرس الدين واضحاً وحيّاً في عقل ذلك الشاب؟ أنها النعمة الفعلية التي أنار الله بها عقله.

### ٤. النعمة الفعلية تقوى الإرادة

لما كان العقل إحدى قوى النفس، فان له تأثيراً عظيماً في الحياة الروحية لأنه يعرفنا الأشياء والحقائق. ولهذا السبب تؤثر فيه النعمة الفعلية على وجه خاص. على أن الإرادة هي الأخرى قوة جزيلة الأهمية. ومن ثم لها عمل حتي قاطع في الحياة الوحية: فحسبما نريد الشئ أو لا نريده، يتقرر الخير أو الشر. والنعمة الفعلية تؤثر في الإرادة، اذ تدفعها لتريد الخير وتبتعد عن الشر. لنوضح ذلك بمثل:

حنا شاب يدرس علم الدين. وقد تعلم في هذا الدرس، ان معاشرة الرفقاء الاردياء تؤذي حياته الروحية، لأنها تجعله يبتعد عن الكنيسة، ويعتاد التلفظ بالكلام البذيئ. ففي أحد الأيام يكون بصحبة أولئك الرفقاء، يشعر بقوة في داخله تحاول فصله عن أصحابه المذكورين. فما هو السبب؟ أنها النعمة الفعلية تعمل عملها في نفسه ولذا يشعر بقوة

وشجاعة، وما عليه الا أن يبتَّ في الأمر. فهل يجاوب على الدعوة الالهية، أم يرفضها؟ أنه حر، والله يساعده فقط ليقرر مصيره. يمكنه أن يقول نعم أو أن يقول لا، فالأمر منوط به لأن الله يحترم حرية الانسان.

## ٥. يجب علينا أن نجاوب على النعمة الفعلية

قلنا أن الله يعطينا النعم الفعلية بسخاء. فيجب علينا أن ننتبه لنعرف هذه النعم ونقبلها ونجاوب عليها. أن شاباً كثيرين صاروا قديسين من دون أن يصنعوا أية أعجوبة. ومن دون أن يتنبأوا أو يعملوا أشياء خارقة العادة. لكنهم كانوا منتهيين تمام الانتباه، ومجتهدين في المجاوبة على دعوة يسوع الحلوة هذه، أي على النعم الفعلية. فالقديس دومينيك سافيو مثلاً، مات في الخامسة عشرة من عمره، ولم تصدر منه سوى أمور قليلة خارقة العادة، في حياته القصيرة، فقد كان يلعب كباقي الأولاد ويدرس ويصلي ويحب الله: غير أنه امتاز عن كثيرين من أبناء جيله بمجاوبته السريعة والتامة على النعم الحالية. ومع صغر سنه، كان يملك

ارادة قوية: ولذلك كان يقبل دائماً النعمة الفعلية ويستثمرها فأكسبته إرادة بطليّة، وحببت اليه عمل الخير والتقوى، والطهارة والتضحية والغيرة على مجد الله وخلاص النفوس. كما أن تلك المجاوبة على النعم الفعلية، جعلته يتبعد عن الخطايا المميته والعرضية، والنقائص والهفوات حتى الطفيفة.

القديسون هم أطرف أعمال النعمة الفعلية. وكل الناس حتى الأولاد والشباب يمكنهم أن يصيروا قديسين حقيقيين، ولو لم يعملوا شيئاً خارقاً في حياتهم. يكفهم لبلوغ القداسة أن يجاوبوا على النعم الحالية الكثيرة، التي يعطيهم إياها الله على الدوام.

## موجز التعليم

١. أن الله يعطينا النعمة الفعلية لكي نستطيع أن نحصل على النعمة المبررة وناحفظ عليها.

النعمة الفعلية (أو الحيايلة) معونة الية وقتية، يعطينا الله اياها في أوقات وظروف خاصة، لكي نعمل الخير ونبتعد عن الشر.

٢. النعمة الفعلية معونة خاصة تدفعنا وتحركنا. وانما تدعى فعلية لأنها تساعد الانسان على اتيان أفعال صالحة فائقة الطبيعة، لا يقدر وحده على القيام بها. وتدعى أيضاً حالية، لأنها تعطي في حالات خاصة، أي في حين الحاجة اليها فقط. فهي اذا معونة وقتية عابرة، لا تبقى معنا دائماً.

هذه النعمة الفعلية ضرورية لجميع الناس على الاطلاق، حتى للحاصلين على النعمة المبررة لأن يسوع قال: "أنكم بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥، ٥)

٣. النعمة الفعلية نوعان: (١) نعمة تنير العقل، ليرى الانسان ماذا يجب أن يفعل، وماذا يطلب الله منه. (٢) نعمة تدفع الارادة وتقويها. لتزيد الخير وتعمل الأعمال الصحة ولتبتعد عن الشر.

٤. يجب علينا أن ننتبه دائمًا، لكي نعرف النعمة الفعلية، حاملما يقدمها الله لنا، فتقلبها وتجاوب عليها. هكذا فعل القديسون: فقد استفادوا من النعم الفعلية، وجاوبوا عليها الى أبعد حد ممكن، مع أن كثيرين منهم لم يصنعوا عجائب ولم يتنبأوا، كالقديس الشاب دومينيك سافيو.

أنك ربما لم تتنبه الى أن حياتك مملوءة من النعم الحالية، وأن يسوع يحيط نفسك بها من كل جهة كالسياج. ألا تعلم أنك سوف تقدم لله حسابًا عن كل هذه المساعدات الخاصة، التي هي لك بمثابة "رأس مال"، يجب عليك ان تستثمره؟ "فحص ضميرك، لنعرف ما هي النعم الحالية التي يعطيك اياها يسوع غالبًا، لكي بعدك عن ذلك الرفيق الذي يكون خطرًا على نفسك. ثم اجزم على أن تقول "نعم" ليسوع و"لا" لذلك الرفيق.

### خلاصة التعليم بالأسئلة

من هو الرجل الذي كان يريد أن يسوع؟ ماذا فعل لكي يستطيع أن يراه؟ ماذا قال له يسوع عندما رآه على الشجرة؟ ماذا فعل زكا عندئذ؟ ما هي النعمة الحالية التي وهبها لزاكا؟ كيف جاوب زكا عليها؟ ما هي الواجبات التي تفرضها علينا النعمة المبررة؟ ماذا يعطينا الله لكي نحصل على النعمة المبررة ونحافظ عليها؟ ما هي النعمة الفعلية أو الحالية؟ لماذا نحتاج الى النعمة الفعلية؟ لماذا تدعى فعلية؟ لماذا تدعى حالية؟ هل تبقى النعمة الفعلية معنا دائمًا؟ لماذا هي معونة مجانية؟ لماذا هي ضرورية للجميع؟ كم نوعًا للنعمة الفعلية؟ كيف تنير عقل الانسان؟ كيف تقوي ارادته؟ ما هي الواجبات التي تنشأ عن قبول النعمة الفعلية؟ هل تذكر شابًا جاوب بسخاء على النعم الحالية؟

### للاستظهار: من التعليم المسيحي:

١\_ ما هي النعمة الحالية (الفعلية)؟

\_ النعمة الحالية هي معونة فائقة الطبيعة. (تُوَهَّب لنا في ظروف وأحوال خاصة). بها ينير الله عقل الانسان ويحرك ارادته. المرة بعد المرة، ليساعده على تجنب الشر وعمل الخير، ابتغاء الحياة الابدية.

٢\_ هل النعمة الحالية ضرورية لنا؟

\_ النعمة الحالية ضرورية لنا، لأننا بدونها لا نستطيع القيام بأعمال فائقة الطبيعة، مفيدة للحياة الابدية. وهي أيضًا مجانية وعامة يُهبها الله لجميع الناس.

٣\_ كم نوعًا النعمة الحالية؟

\_ النعمة الحالية على نوعين:

(١) نعمة تنير العقل.

(٢) نعمة تدفع الارادة.

٤\_ ماذا يجب علينا للنعمة الحالية؟

\_ يجب علينا أن نجابو على النعمة الحالية وان نستثمرها.

٥\_ هل يعطي الله جميع الناس نعمة الكافية للخلاص؟

\_ يعطي الله جميع الناس نعمة الكافية للخلاص، ولا ينكرها على أحد. وانما علينا أن نعمل معها.

### من أقوال الكتاب المقدس

"الرب يؤتى النعمة والمجد" (مزمو ٨٣: ١٢)

"الله... يريد أن جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق" (١ تيموثاوس ٢: ٤)

"الله هو الذي أشرق في قلوبنا لانارة معرفة مجد الله" (٢ كورنتس ٤: ٦)

لدفتر الدين (المجهود الشخصي) \_ ١\_ اقرأ بتأن قصة زكا، ووضح معناها في دفترك، مبيئاً النعمة الحالية التي وهبها يسوع لزكا وكيف جابو هو عليها.

- أتذكر ذلك الشاب الذي صادقه يسوع، فدعاه ليتبعه، تاركا عائلته وغناه؟ (متى ١٩: ١٦) أن هذا الشاب لم يكن له من الشجاعة ما يحمله على اتباع العلم الالهي، لأنه كان غنياً جداً، فذهب حزيناً. مثل هذا المشهد الانجيل برسم، وضع بجانبه الجواب على هذه الأسئلة: (١) كيف أعطى يسوع ذلك الشاب النعمة الحالية: (٢) هل كانت النعمة لإنارة العقل أم لتقوية الارادة؟ (٣) هل جابو الشاب عليها؟

- خذ دفترك وانسخ فيه الحوادث التالية، ثم ميز النعمة الحالية التي تنير العقل من تلك التي تقوي الارادة:

١\_ يعقوب يتهاً لدخول ردهة السينما لمشاهدة "فلم" مخل للأداب، لكنه يشعر فجأة بقوة داخلية تمنعه من دخول ردهة السينما.

ب\_ جورج يقرأ حياة القديس دومينيك سافيو، فتساعده تلك القراءة على تغيير سيرته.

ج\_ بطرس تهاجمه تجارب ضد الطهارة، الا أنه يتذكر فجأة حادثاً سمعه في درس الدين، فيتمكن من التغلب على التجربة.

د\_ عيسلا يفكر فيالتغيب عن القداس يوم الأحد، ولذا ذهب مع رفقائه الى الملعب ليلعبوا كرة القدم، ولكن بينما هو في الطريق، اذ خطرت بباله صورة رأها في كتاب الدين، وهي تمثل يسوع مالنا على الصليب، مجددًا موته بنوع سري في ذبيحة القداس. عندئذ بقول بدون تردد: أريد أن أذهب الى القداس، فيترك رفقائه ويرجع الى الكنيسة.

هـ حنا يتهمياً للهجوم على رفيقه في ساعة غضب شديد لينتقم منه، لكنه يشعر بقوة مفاجئة تنهيه عن الانتقام.

## للمطالعة

### النعمة الفعلية ضرورية

النعمة الفعلية ضرورية للجميع لكي يستطيعوا القيام بالأعمال الفائقة الطبيعة، التي تتطلبها حالتهم كأبناء الله. ومن دون هذه النعمة لا يستطيع أحد أن يأتي أي عمل صالح يفيد الحياة الابدية، ولا أن ينتصر على التجارب والشهوات، ولا أن يفكر تفكيراً صالحاً، ولا أن يصلي، ولا أن يصفح عن الإهانات. ومن دونها أيضاً لا تستطيع أيا الشاب أن تتعلم الدروس الدينية وتجني منها فوائد روحية. على أن النعمة الفعلية ضرورية على أنواع مختلفة:

١\_ أنها ضرورية مطلقاً غير المسيحي، الذي لم يقبل سر المعمودية. فهي التي يجب أن تقوده الى الله، الى النور، الى الدين الحقيقي. هي اذاً الدافع الأول والخطوة الأولى للخلاص.

٢\_ أنها ضرورية للمسيحي الساقط في الخطيئة المميتة، لكي يتوب ويعود الى حالة النعمة المبررة. فالانسان بقواه الطبيعية يستحيل عليه أن يسترجع النعمة الالهية التي فقدتها بذنبه، وها أن النعمة الفعلية تنير السبيل ليعرف الشر الذي عمله بخطيئته وتدفعه الى التوبة.

٣\_ أنها ضرورة للقديس أيضاً لكي يثبت في قداسته وصلاحه، لأن الانسان حتى الصالح أيضاً، لما كان ضعيفاً جداً، فلا يقوى على الثبات في البر بدون النعمة الالهية.

وهنا نورد بعض حوادث، نبين بوضوح عمل النعمة وتأثيرها الفائق الطبيعة في النفوس، اذ ترجعها الى الله بعد أن كانت بعيدة عنه، وتدفعهما الى القيام بتضحيات كبيرة وبأعمال بطوله مسيحية:

### أبي السماوي أغنى جداً من أبي الأرضي

١\_ في أوائل سنة ١٩٢٧ مات في نيوارك (الولايات المتحدة \_ أمريكا) رجل بروتستنتي غني جداً منفرد. وكانت بنته كريس قد اهدت الى الدين الكاثوليكي، وترهبت في دير راهبات القديس عبد الأحد في المدينة نفسها. ولم يوافق الأب على اهداء ابنته ولا على ترهيبها، بل حاول بكل جهده أن يقنعها بالهدول عن راهبا والرجوع الى دينه، فلم يفلح فأوصى في وصيته الأخيرة بان لا تنال ابنته المذكورة شيئاً من تركته الطائلة البالغة مليونين ونصف المليون من الدولارات، اذا أصرت على البقاء في الدين الكاثوليكي وفي الرهبنة. فلما مات والد الراهبة وعلمت بوصيته، أصبحت بين عاملين ينتازعانها: فاما أن تضحي بحصتها الكبيرة في ارث والدها، وأما أن تهجر الدين والرهبة. ولكنها أعلنت بكل جراءة أنها تضحي بكل خيرات الارض في سبيل المحافظة على دينها ودعوتها الرهبانية وكانت تقول: "أبي السماوي أغنى من أبي الأرضي. وجزائي في السماء سيكون أعظم بدون قياس". فانظر عمل النعمة في هذه النفس، فقد أصبحت قادرة على القيام بمثل هذه التضحية.

## تهجر المسموح وترتدي الثوب الرهباني

٢\_ ذكرت الجرائد في تشرين الاول سنة ١٩٣٠، ان الممثلة الشهيرة ايفون هوتان من ندوة "كوميدي فرانسيز"، قد قررت أن تهجر المسرح لكي تلبس الثوب الرهباني. وقد أحدثت هذه المفاجأة ضجة كبرى ودهشًا عظيمًا في الأوساط الفنية، ولا سيما بين أعضاء الندوة السالف ذكرها، الذين كثيرًا ما اشتركوا مع ايفون في تمثيل الروايات، وكانت هي قبل أسبوع واحد فقط من انتشار ذلك الخبر قد مثلت دورًا مهمًا في رواية شهيرة. ولم تكن الممثلة قد أطلعت أحدًا من قبل، على ما كانت عازمة عليها، انما كان بعض أصحابها يعرفون أنها منذ مدة وجيزة كانت تردد باستمرار الى الكنيسة حيث كانت تتحدث طويلاً الى عمها الكاهن الذي كان ينتمي الى الرهبانية

اليسوعية. وكانت الحياة ترافق راهبات في زيارتهن للمرضى والفقراء. وقد عرف فيما بعد أنها حجت الى مزار العذراء في لورد، وأنها لدى رجوعها أخذت تشعر باضطراب داخلي عنيف وبأزمة روحية، ثم ودعت زملاءها الممثلين الوداع الأخير، فتأثروا لمفارقتها اياهم. وفي المساء نفسه سافرت الى لورد، حيث مكنت مدة تودع باقي أقاربها ومعارفها، وأخيرًا دخلت الرهبانية القديس مبارك في باريس.

فما الذي دفع هذه الممثلة الكبيرة، التي كان ينتظرها مستقبل باهر، الى هجر العالم وأمجاده وملاذه، والانزواء بين جدران الدير لتمارس أفعال المحبة والأمانة المتنوعة، سوى نعمة الله؟ فيما انها قبلت النعمة وعملت بها، استطاعت أن تقدم على عمل سام، يتطلب تضحية وقوة كبيرتين.

## أمثلة من الانجيل على النعمة الفعلية

أعلم أيها الطالب النجيب، أن الله يمدنا على الدوام بنعمة الفعلية، ليساعدنا على عمل الخير واجتناب الشر. والكتاب المقدس مملوء بالأدلة على ذلك، ولا سيما الانجيل الذي يكر لنا عددًا كبيرًا من هذه النعم. وها أني أنقل اليك بعضها:

١\_ جاء نيقودمس الفريسي الى يسوع ليلاً، وباحثه في أمور شتى. فأعطاه يسوع نعمة فعلية أنارت عقله وجعلته يؤمن به (يوحنا: ف ٣).

٢\_ صادف يسوع امرأة سامرية خاطئة، على بئر يعقوب في مدينة نابلس، فحرك قلبها بنعمته الفعلية فتابت وبمنت به (يوحنا: ف ٤)

٣\_ دعا متى العشار، فهداه الطريق المستقيم واتخذة رسولاً (متى: ٩ و ٩)

٤\_ ساعد بنعمته المرأة الكنعانية، وكانت وثنية، فاخرج الشيطان من انتها وجعلهما تؤمنان به (متى: ١٥ و ٢٢).

٥\_ أثار قائد المئة الوثني فأمّن، حتى تعجب المسيح من قوة ايمانه ومدحه وشفى خادمه (متى: ١٥ و ٢٢).

وما أكثر النعم الفعلية التي يغمرنا الله بها يومًا بعد يوم، بل تقريبًا ساعة بعد ساعة. فلنفكر فيها مرارًا، لأن هذا الفكر يعزينا ويشددنا وكل مرة يطلب منا أن نفعل عملاً صالحًا، او أن نتجنب فعلاً رديئًا، يقدم لنا الله هذه النعم الحالية

لكي يساعدنا ويسهل علينا ممارسة تلك الأعمال الصالحة والابتعاد عن الشر. فلو فكرنا في النعم الفعلية الكثيرة، التي حصلنا عليها في حياتنا، لامتأنا خزيًا وخجلًا، لأننا لم نجاوب عليها ولم نستفد منها، أن تلك النعم هي لنا أكبر مال كبير، ولكننا غالبًا نهمل استثماره.